القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية

أنيسة محمد محمد الهتار
كلية الآداب، جامعة ذمار

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v5i4.455

الملخص

هدف البحث إلى المقارنة بين البنية السطحية والبنية العميقة لأهم النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية والاقتصادية، وتم استخدام المنهج التحليلي التفسيري القائم على آليات القواعد التحويلية في المنهج التوليدي التحويلي في مراحله الأولى (تشومسكي) 1957م– 1981م.

يشمل البحث المقدمة، التمهيد، المبحث الأول-القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية فيما يتناول المبحث الثاني-القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على البيئة الاقتصادية، ثم نتائج البحث، مصادر البحث ومراجعه.

من أهم نتائج البحث أن القواعد التوليدية هي القواعد القادرة على وصف اللغة، وتفسير معطياتها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة – البنية العميقة -البنية السطحية – القواعد التحويلية.

Transformational rules in Qura'anic texts indicating sustainable development in the natural environment and the economic environment

Abstract

*This study aims at comparing the surface structure and the deep structures of the most important Quranic texts indicating sustainable development in the natural and economic environment. **T**he analytical and interpretive approaches based on the mechanisms of transformative grammar (Chomsky) 1957-1981 were used. The included an introduction, the transformative rules in the Qur'anic texts that indicate sustainable development in the natural environment, the transformative rules in the Qur'anic texts indicating the economic environment, findings, and references. Among the most important findings is that Generative Grammar is the grammar capable of describing language and interpreting its various data.*

Keywords :*Sustainable development - deep structure - surface structure - transformative rules.*

المقدمة

إن التمييز بين البنية العميقة(الجملة النواة) وبين البنية السطحية(الجملة المحولة) يساعد على معرفة القواعد التحويلية التي تطرأ على الجملة السطحية في أي نص، كما يساعد على فهم التركيب لغويا ودلاليا، لذلك كان المنطلق الأساسي لهذه الدراسة هو الجانب النحوي الذي شمل القواعد التحويلية في البنية السطحية للنصوص القرآنية المختارة في هذا البحث، حيث اعتمدت على بعض النصوص الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية، وقد اشتملت جميع هذه النصوص أنماطا تحويلية متنوعة مقصودة تناسب السياق الذي قيلت فيه، وتبين أن النص القرآني لم يغفل عن المعالجة الشاملة لكافة المشاكل البيئية، المرتبطة بأهداف التنمية المستدامة التي ذكرتها الأمم المتحدة عام(2015م)، وتسعى لتحقيقها بقصد الوصول إلى حياة خالية من الفقر والمرض بحلول(2030م)، فالنص القرآني منهج حياة مرسل من خالق هذا الكون ومن فيه، وهو العليم البصير بما يصلح له حاضرا ومستقبلا، فهو منهج رباني مقدم للبشر، فمن التزم به ارتقى بحياته إلى أرفع مكانة يريدها، ولا نبالغ إذا قلنا: إن النص القرآني مشروع متكامل لحياة سعيدة، فجميع آياته تنمية مستدامة للروح والبدن والدين والحياة والمجتمع والأجيال القادمة، فهو يحتاج لدراسات مختلفة لبيان ذلك، وفي دراستي هذه اكتفيت ببعض النصوص التي تتحدث عن البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية، فهذان الجانبان لهما أهميتهما، فهما يضمان الإنسان والبيئة اللذين يعدان المحورين الأساسيين للتنمية المستدامة، ولا سبيل لتحقيق التنمية في جميع جوانب الحياة إلا من خلالهما .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- رغبة الباحثة في خوض البحث في النص القرآني لمعرفة القواعد التحويلية المختلفة في البنية السطحية في النصوص القرآنية الدالة على البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية، وعلاقتهما بالتنمية المستدامة ودلالة هذا التحويل.
- قلة الدراسات اللغوية التطبيقية في النصوص القرآنية الدالة على الجوانب الإنسانية المختلفة.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة المنهج التحليلي القائم على آليات القواعد التحويلية في المنهج التوليدي التحويلي في مراحله الأولى (تشومسكي 1957م– 1981م).

أهداف البحث:

- الوقوف على البنى التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة، ودراستها عن طريق الوصف والتحليل لنظام هذه الجمل على وفق قواعد النحو التحويلي.
- المقارنة بين البنية السطحية والبنية العميقة لأهم النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية والاقتصادية.
- الوصول إلى دلالات التحويل في مختلف البنى السطحية.

اقتضى منهج البحث وأهدافه أن يقسم على مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد، المبحث الأول- يدرس القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية، المبحث الثاني- يدرس القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على البيئة الاقتصادية ثم نتائج البحث والتوصيات، ومصادر البحث ومراجعه.

التمهيد

يتناول التمهيد عدة نقاط مرتبطة بموضوع البحث وهذه النقاط هي:

- تعريف التنمية المستدامة وأهدافها وأبعادها.
- تعريف البيئة وعلاقتها بالتنمية المستدامة.
- القواعد التحويلية في الجملة عند تشومسكي.

أولا- تعريف التنمية المستدامة لغة واصطلاحا:

التعريف اللغوي:

هو مصطلح مركب من لفظين: (تنمية "موصوف" + مستدامة "صفة")، وردا بمعنى النمو والزيادة المستمرة في المعاجم، فالتنمية: هي مصدر الفعل (نما) "نمي، النماء : الزيادة، نمى ، ينمي، نميا ، ونميّا ونماء: زاد وكثر ... وأَنْمَيْتُ الشيءَ ونَمَّيْتُه: جَعَلْتُهُ نَامِيًا."(ابن منظور،1414هـ،341/15)، و"أصله نمو" نما المال وغيره ينمو نموا ، كعلو زاد ... ينمي وينمو ...وأما(ينمو) فأنكرها بعضهم ... (النموة): الزيادة... نما نموا : ارتفع".

(الزبيدي،2001م ،131/40، 132).

و الاستدامة: مأخوذة من استدامة الشيء، أي طلب دوامه و استمراره و"(دام) الشيء (يدوم)... و(أدامه) إدامة و(استدامة) وكذلك (دوامه) إذا تأنى فيه، أو طلب دوامه،...المستديم المبالغ في الأمر، والمداومة على الأمر: المواظبة عليه، ومن طلب الدوام استدام الله نعمته."(الزبيدي، 2000م، 179/32–180).

التعريف الاصطلاحي:

قبل تعريف مصطلح التنمية المستدامة، لا بد من وقفة لتعريف كل مفردة على حدة، حيث تعرف **التنمية** بأنها: "عمليات واعية ومدروسة تستهدف استغلال الموارد الطبيعية البشرية بهدف التحسين والتطوير والتحديث للوصول إلى نتائج للإنسان تتعلق بحياته في كافة مناحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية "(السيابي وعبد القادر وزيان، 2017م، ص101).

وتعرف **المستدامة** بأنها: "توازن ديناميكي في صيرورة التفاعل بين المجتمع وبين قدرة الاحتمال البيئية، بحيث تتطور المجموعة السكانية حتى درجة تعبيرها عن أقصى درجات طاقتها دون التأثير بشكل سلبي ودائم على قدرة الاحتمال التي تتمتع بها البيئة التي تعتمد عليها"(إيلي ،2015م، ص3).

وتعرَّف **التنمية المستدامة** كمصطلح مركب من (موصوف + صف) بأنها:

"عملية تطوير الأرض والمدن والمجتمعات، وكذلك الأعمال التجارية بشرط أن تلبي احتياجات الحاضر، بدون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها "(أبو النصر و محمد ،2017م، ص82). وهي:" التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها" (الغامدي، 2007م، ص10).

وهناك من ينظر إليها من جانب اختصاصه، فمثلا هناك تعريفات تهتم بالجانب البيئي، ومنها ما يهتم بالجانب الاجتماعي، ومنها ما يهتم بالجانب الاقتصادي، ومنها ما يهتم بالجانب التقني. فالتعريفات البيئية تركز على: "الاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية والموارد المائية في العالم بما يؤدي إلى مضاعفة المساحات الخضراء في العالم "(محمد وآخرون ،2015م، ص340).

والتعريفات الاقتصادية تركز على:" اتجاهات رؤية الدول الصناعية من جهة، والدول النامية من جهة أخرى، إذ ترى الدول الصناعية أن التنمية المستدامة تعني إجراء تخفيض عميق ومتواصل في استهلاك هذه الدول من الطاقة والموارد الطبيعية وإحداث تحويلات جذرية في الأنماط الحياتية السائدة وامتناعها عن تصدير نموذجها التنموي الصناعي عالميا، أما بالنسبة للدول الفقيرة والتابعة فإن التنمية المستدامة تعني توظيف الموارد من أجل رفع المستوى المعاشي للسكان الأكثر فقرا في الجنوب"(عبد الله،1998م، ص242).

يُلاحظ أن جميع التعريفات السابقة تتفق على أن التنمية المستدامة مجموعة من الخطط المهمة لتلبية الاحتياجات المختلفة في الوقت الحاضر مع مراعاة الأجيال القادمة.

بداية الاهتمام بالتنمية المستدامة:

انعقد مؤتمر(ستوكهولم) في السويد عام(1972م)، حضر الاجتماع ما يزيد عن(115) دولة ، وخرج المؤتمر بنتائج ،أهمها الحفاظ على البيئة من التلوث، وإيجاد سياسة موحدة لذلك، وفي عام (1981م) انعقد اجتماع في (مونتيفيديو) لوضع برنامج عالمي وإقليمي ومحلي لمراجعة قوانين البيئة وتطويرها، وفي عام (1982م) أقرت الجمعية للأمم المتحدة الميثاق العالمي للطبيعة، وفي عام (1987م) صدر عن اللجنة العالمية للتنمية والبيئة تقرير(مستقبلنا المشترك) الذي يشير إلى التنمية المستدامة بشكل رسمي، وتم في هذا التقرير دمج الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وفي العام نفسه صدر تقرير عن الأمم المتحدة أكد على أن التنمية يجب أن تلبي الحاجات الملحة الحالية دون تفريط في الحاجات المستقبلية والتوزيع العادل للثروات وتحسين الخدمات وتجذير مناخ الحريات والحقوق، دون إضرار بالموارد الطبيعية والبيئية، وفي عام(1990م) أقر مؤتمر العمل الدولي اعتماد فكرة التنمية المستدامة كأساس لكل أنشطتها، وفي عام (1992م) تم عقد مؤتمر(ريودي جانيرو) في العاصمة البرازيلية، وقد أطلق على هذا المؤتمر(قمة الأرض)، وحضره (185) دولة، وفيه تبني مفهوم (التنمية المستدامة) باعتباره قيمة حضارية، وصار تحقيق هذه التنمية أحد الطموحات والأهداف الكبرى للعديد من دول العالم المعاصر، وقد صدر عن القمة (27) مبدأ، مثلت أساسا لخطة عمل للدول؛ للحد من التلوث البيئي، وتوالت الاجتماعات بعد ذلك لمناقشة مشاكل البيئة كـ(الاحتباس الحراري والحد من الفقر وحماية الموارد الطبيعية وإدارتها بأساليب مستدامة) وتمكين المرأة والشباب ومنظمات المجتمع المدني للمشاركة في التنمية باعتبارهم الفئة الأكثر إسهاما في هذا الجانب، وفي العام (2015م) تم انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، وقد نادت دول العالم بضرورة تبني مبادئ التنمية المستدامة (المقبلي،2021م، ص2).

ومبادئ التنمية المستدامة التي أجملها الباحثون تتمحور حول خمسة أبعاد (إيلي،2015م، ص2: 9)، وهي:

1-البعد المادي الملموس 2- البعد الاقتصادي 3- بعد الحياة 4-البعد الاجتماعي 5- البعد الروحي.

ثانيا : تعريف البيئة وعلاقتها بالتنمية المستدامة:

أ): التعريف اللغوي:

مفردة البيئة مشتقة من الجذر اللغوي (بوأ) الذي يأتي في اللغة بعدة معان منها: (الرجوع، التكافؤ، الاعتراف والمنزل والموضع)، "يقال: وَالِاسْمُ البِيئَةُ. واسْتَباءه أَي اتَّخَذَهُ مَباءَةً. وتَبَوَّأْتُ مَنْزِلًا أَي نَزَلْتُه. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ...وتَبَوَّأَ المكانَ: حَلَّه... وَفِي الصِّحَاحِ: المَباءَةُ: مَنْزِلُ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَيُقَالُ: كلُّ مَنْزِل يَنْزِله القومُ.(ابن منظور،1414هـ، 1/ 38)، فالبيئة بهذا المعنى هي: المنزل والموضع الذي يحيط بالفرد والمجتمع.

ب) التعريف الاصطلاحي:

للبيئة عدة تعريفات مختلفة ترتبط بما جاء في النص القرآني، من ذلك أنها: " كل ما يحيط بالإنسان من مكونات مادية (الأرض والسماء والماء ...إلخ) وما فيها من مخلوقات ومؤثرات وظواهر وعلاقات، كما تشمل البيئة علاقة الإنسان بالإنسان التي تنظمها الأديان والمؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم الإنسانية الأخرى، كما تشمل البيئة أيضا كل ما يحيط وما يجيش بالإنسان من دوافع و غرائز، وما تعزي نفسه من أحاسيس وعواطف"(الحمد ،1975م،

ص24-25). وهذا التعريف يشمل جميع مكونات البيئة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

علاقة البيئة بالتنمية المستدامة:

العلاقة بين البيئة والتنمية المستدامة علاقة متلازمة ووثيقة، فلا يمكن أن يكون هناك تنمية ما لم يكن هناك موارد بيئية، وحجم التنمية مرتبط بهذه الموارد من حيث التوفر أو الانعدام أو النقص، ولكي تحقق التنمية المستدامة أهدافها لا بد من توفر سياسات بيئية سليمة تخدم جميع مجالات الحياة، وتحاول إصلاح ما أفسده الإنسان في بيئته، فكلما كانت البيئة واعية تيسر تحقيق ما تصبو إليه من أهداف.

تسعى أهداف التنمية المستدامة إلى إصلاح البيئة وتغييرها للأفضل، **وهذه الأهداف هي:**

1- القضاء على الفقر. 2- القضاء التام على الجوع. 3- الصحة الجيدة والرفاه. 4- التعليم الجيد. 5- المساواة بين الجنسين. 6- المياه النظيفة والنظافة الصحية. 7- طاقة نظيفة وبأسعار معقولة. 8- العمل اللائق والنمو الاقتصادي. 9- الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية. 10- الحد من أوجه عدم المساواة. 11- مدن ومجتمعات محلية مستدامة. 12- الاستهلاك والإنتاج المسؤولان. 13- العمل المناخي. 14- الحياة تحت الماء. 15- الحياة في البر.16-السلام والعدل والمؤسسات القوية. 17-عقد الشراكات لتحقيق الأهداف.(الجهاز المركزي للإحصاء،2017م).

أقسام الجملة و قواعد التحويل:

القواعد التحويلية في الجملة ترتبط ارتباطا كبيرا بأقسام الجملة التي اتفق عليها النحاة قديما وحديثا، وهما: (الجملة الاسمية + الجملة الفعلية)، وهذا التقسيم هو الذي تم اعتماده أثناء التحليل للجمل في النصوص المدروسة، أما الجملة الظرفية التي زادها ابن هشام، والجملة الشرطية التي زادها الزمخشري، فتعدان عند الباحثة تابعتين للقسمين المعتمدين، يقول ابن هشام عن الجملة الظرفية هي:" المصدرة عنده بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد؟ و أفي الدار زيد ؟ إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف"(ابن هشام،2010م، ص358)، أما الزمخشري فقد زاد الجملة الشرطية عند حديثه عن الجمل الخبرية نحو: بكر إن تعطه يشكرك (ابن يعيش،1/ 229). ومن هذا المنطلق سيتم دراسة البنى السطحية في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية، باعتبار الجملة السطحية المحولة خبرية كانت أم إنشائية جملة في الأصل (فعلية أو اسمية) تستند على الإسناد، وما بقية العناصر فيها إلا تحويلات وإضافات يتطلبها السياق بقصد من المرسل، لتوليد دلالات مختلفة، وهذه التحويلات والدلالات هي المقصودة بالدراسة في هذا البحث.

بنية الجملة عند تشومسكي: يرى تشومسكي أن الجملة لها بنيتان هما:

البنية السطحية: هي: "ما يكون ملموسا على السطح من جمل منطوقة أو مكتوبة، بحيث تحول العمليات العقلية في البنية العميقة إلى بنية سطحية ملموسة.(الراجحي،1979م، ص124-126).

البنية العميقة: هي: "الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي، يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له، والنواة التي لا بد منها لفهم الجملة، ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها"(عمايرة،1981م، ص58)، فهي إذن العمليات العقلية للتفكير في الجمل قبل تحويلها إلى بنى سطحية.

مكونات الجملة:

رأيت أن أتعامل مع مكونات الجمل المدروسة بما يتناسب مع لغتنا العربية مستفيدة من الآراء المطروحة من بعض الباحثين العرب،(البياتي، 2022م،يوتيوب) فأرى أنها تتكون من الآتي:

1- ركن إسناد: ويشمل:

- الجملة الاسمية (المسند إليه + المسند) والعلاقة بين المسند إليه والمسند علاقة إسنادية، وهما الجملة النواة لأي جملة اسمية ما لم يحدث لها تحويل كالحذف أو الترتيب، أو الزيادة.(أبو المكارم،2007م، الترتيب، 52: 57، الحذف، 58 :64).
- الجملة الفعلية (مسند + مسند إليه) وهما الجملة النواة لأي جملة فعلية ما لم يحدث تحويل لها، كالحذف أو الترتيب أو الزيادة. (أبو المكارم، 2007م، الحذف، 78 : 90، الترتيب، 91: 103).

- **ركن تكملة:** هوما يتم إضافته على الركنيين الأساسيين في الجملة الاسمية والفعلية، وفيما يلي العناصر التي تضاف إليهما(البياتي، 2022م، فيديو يوتيوب) :

- **التخصيص:** عملية ذهنية تخص الإسناد، فالإسناد عملية غير مقيدة تنتج تفرعات باتجاه (المفعولات← المفعول به، المفعول فيه +المفعول له + المفعول المطلق +التمييز + الحال).

- **الإضافة:** عملية ذهنية بإضافة "مباشرة" بين اسمين (مضاف + مضاف إليه)+إضافة "غير مباشرة" بوساطة الأدوات(حروف الجر)، واعتبار الجر نوع من الإضافة قد ذكره سيبويه بقوله:" الجر إنما يكون في كل اسم مضاف إليه،... واعلم أن المضاف إليه ينجر بثلاثة أشياء: ... فأما الذي ليس باسم ولا ظرف فقولك : مررت بعبدالله،..."(سيبويه،1988م،1/ 419).باعتبار إضافة المرور إلى عبدالله بالباء إضافة غير مباشرة.

- **التوضيح:** عملية ذهنية تتبع الموضح باتجاه (الوصف (الصفة) + التأكيد +البيان). وهذه التكملة بأنواعها في أي جملة مرتبطة برأس الهرم (ركن الإسناد).

قواعد التحويل في الجملة:

التحويل هو مفتاح نظرية تشومسكي، يحدث في البنية السطحية عن قصد، ويسهم في إنتاج الدلالة المناسبة للسياق الذي ورد فيه، ويعرف هذا التحويل بأنه: "تحويل جملة إلى أخرى أو تركيب إلى آخر، والجملة المحول عنها هي ما يعرف بالجملة الأصل، والقواعد التي تتحكم في تحويل جملة الأصل أو"البنية العميقة" هي القواعد التحويلية"، وتقوم فكرة التحويل عند تشومسكي من خلال تطبيق هذه القواعد على عدد محدود من الجمل الصحيحة الأساسية(الجمل النواة) أو(الأصلية الإخبارية) للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة، نحو: (الجمل المنفية والمؤكدة والجمل المبنية للمجهول والتراكيب الإنشائية) .

وهذه القواعد هي:

1- قواعد الحذف 2- قواعد الإحلال (التعويض) 3- قواعد الزيادة 4- قواعد إعادة الترتيب (التقديم والتأخير) 55- قواعد التوسع 6- قواعد الاختصار(الراجحي،1979م ص140-141.وعبد اللطيف، 1990، ص13) ، وأضاف أحد الباحثين الحركة الإعرابية.(بلعيد،2005م، ص62).

وهي قواعد إما **اختيارية** "التي تصح الجملة نحويا ودلاليا بها وبغيرها كقاعدة البناء للمجهول أو تقديم المفعول به على الفاعل في العربية أو **إجبارية** " وهي القواعد التي لا تصح الجملة إلا بها نحو قاعدة المطابقة للجنس، أو العدد، أو زمن الفعل وهكذا ... "(خليل،2007م، ص96)

النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة:

وردت العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى التنمية المستدامة في جميع جوانب الحياة، من ذلك الجانب البيئي، حيث جاءت نصوص قرآنية تنبه إلى مخاطر التدهور البيئي والاقتصادي، ووضعت الأسس التي يجب على الإنسان أن يتعامل بها مع الطبيعية، كونه مستخلفا من الله عليها، وله حرية التصرف بها لكن من دون إفساد أو تبذير، فهي مسخرة له وللأجيال القادمة، وكذلك وضعت هذه النصوص الأسس التي يجب على الإنسان أن يلتزم بها في تعامله مع كل من حوله من بشر، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة ، لذلك فقد اخترت بعض النصوص المهمة التي تشير إلى البيئة الطبيعية والبيئة الاقتصادية .

المبحث الأول القواعد التحويلية في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الطبيعية:

النص القرآني نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، وهو مرسل للبشرية جمعاء، وجميع البشر يعيشون على هذه الأرض وإن اختلفت أمكنة عيشهم، فالإنسان هو الإنسان، والأرض هي الأرض، وما هذا النص القرآني إلا دستور حياة ينظم للإنسان حياته، ويعرفه كيفية التعامل مع من حوله من بشر وطبيعة، وهذا ما نلاحظه في خطابه الجمعي الموجه للبشرية جمعاء، وفي مقاصد آياته المختلفة، فالله تعالى هيأ كل ما في الأرض وسخره للإنسان، وجعله خليفة له، وليس معنى ذلك أنه حر التصرف، بل عليه أن يدرك حجم مسؤولية الاستخلاف بما ميزه الله تعالى من عقل وعلم وبيان...إلخ، ويدرك قبل ذلك أن كل ما في السموات وما في الأرض لله تعالى، ومن المنطلق هذا اخترت ثلاث قضايا متعلقة بالإنسان والبيئة الطبيعية، وهي:

1- ملكية الأرض 2- الفساد 3- تذليل الأرض

أولا : ملكية الأرض:

تكررت النصوص القرآنية التي تتحدث عن ملكية السماوات والأرض، وفي ذلك توكيد للملكية وتنبيه الإنسان المستخلف، ولو استوعب الإنسان هذا الأمر لحافظ على ما استخلف عليه، وجنب البيئة الطبيعية مخاطر التدهور، فالتنمية المستدامة هدفها معالجة ما خربه الإنسان بطيشه وقلة وعيه. ومن النصوص التي تخبرنا عن ملكية السموات والأرض وما بينهما، قوله تعالى:

- ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ .(طه /6)

- ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.(البقرة/284)

- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ .(سبأ/ 1،2)

تحليل قوله تعالى: ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾.(طه /6)**، يقول (الرازي) في تفسير هذه الآية:" أنه سبحانه مالك لهذه الأقسام الأربعة، فهو مالك لما في السموات من مَلَكٍ ونجم وغيرهما، ومالك لما في الأرض من المعادن والفلزات، ومالك لما بينهما من الهواء، ومالك لما تحت الثرى...فيحتمل أن يكون تحته شيء وهو إما الثور أو الحوت، أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات..." (الرازي،1420ه،10/22و البغوي،1990م، 263/5) وذكر (ابن كثير) في تفسيره عن محمد بن كعب: " أي ما تحت الأرض السابعة ..."(ابن كثير،1999م، 273/5)، وهذا يؤكد أن الأرض ليست واحدة بل سبع أرضين وبهم من عجائب وغرائب المخلوقات، يقول تعالى:﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (الطلاق/12)، ومهما اكتشف الإنسان بعلمه لن يصل إلى إدراك كل شيء، فإن نهاية العقل البشري هي العجز عن أسرار الكون، يقول تعالى:﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ / وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾. (الحاقة/38- 39).

يُلاحظ أن النص السابق مكون من أربع جمل سطحية، خبرية، مركبة، وهذه الجمل مترابطة ترابطا وثيقا بوسائل

اتساقية (الخطابي،1991م، ص11- 24) وهي: الإحالة النصية إلى سابق بالضمير (له) المحال إليه (الرحمن) + الحذف المستمر لركن الإسناد الخبر (له)+ الوصل بالواو+ التكرار للاسم الموصول (ما)، تكررت (ما) هنا للدلالة على المكونة من التالي ، كما هو موضح في الجدول(1):

البنية السطحية	البنية العميقة	قواعد إنتاج اللغة	قواعد التحويل
له ما في السموات	الذي في السموات كائن للرحمن	إسناد+إضافة (غير مباشرة)	ترتيب+ إحلال+ حذف
وما في الأرض	الذي في الأرض كائن للرحمن	إسناد+إضافة (غير مباشرة)	حذف +إحلال
وَمَا بَيْنَهُمَا	الذي بين السموات والأرض كائن للرحمن	الإسناد+إضافة(غير مباشرة)	الحذف +إحلال
وَمَا تَحْتَ الثَّرَى	الذي تحت الثرى كائن للرحمن	إسناد+ إضافة(غير مباشرة)	حذف +إحلال

لكل جملة سواء اسمية أم فعلية قواعد بنائية تشمل الاسم والضمير والفعل والحرف، وسأكتفي بالتوضيح للقواعد البنائية للجملة الأولى: (له ما في السموات)، وهي كالتالي :

الجملة ←مسند (له) + مسند إليه(ما)+صلة الموصول
المسند (خبر مقدم) ← شبه جملة (له)←(حرف + ضمير)
المسند إليه (مبتدأ مؤخر) ← اسم موصول (ما)+ صلة الموصول←(في السموات) شبه جملة (جار + مجرور)
حرف (في) + اسم (السموات) ← تعريف + اسم
اسم ← الهاء (له) + ما (اسم موصول) + سموات
تعريف ← ال
حرف ← اللام + في

قواعد إعادة الكتابة

إدراج الوحدات المعجمية

تعد جملة (له ما في السموات) الهرم الرأسي في النص، تتصل به جميع الجمل اللاحقة، فركنا الإسناد موجودان (المسند إليه "مبتدأ مؤخر"+ المسند "خبر مقدم")، أما بقية الجمل اللاحقة فتم فيها حذف ركن (المسند "الخبر")، وتم تأويله في البنية العميقة (له)← كائن لله، من خلال الإحالة النصية إلى سابق، وهذه الإحالة المستمرة شكلت اتساقا نصيا محكما أسهم في ترابط الجمل، وإبراز المعنى.

القواعد التحويلية في البنية السطحية في النص: يلاحظ أن البنى السطحية للنص حدث فيها عدة تحويلات، تناسب سياق الآيات وهي كالآتي:

الترتيب (التقديم والتأخير):

- تقدم شبه الجملة(له) في البنية السطحية(له ما في السموات) تقدم جائز لما حقه التأخير شبه الجملة الخبر(له) على (المسند إليه) المبتدأ، اسم الموصول(ما)، فأفاد هذا التقديم القصر، فما يوجد في السموات والأرض وما بينهما فمقصور على الله سبحانه وتعالى، وحاشا أن يشاركه أحد في ملكه، وكذلك يفيد الحصر للمسند إليه المتعدد الذي ورد متأخرا، فحين يتعدد المسند يحسن تأخره، وكذلك المسند إليه إذا تعدد يحسن تأخره(أنيس،1966م،ص304)، فكل ما في السموات والأرض لله وحده، لذلك لا يحق للإنسان التصرف في هذا الملك كيفما شاء، لأنه ليس ملكه، فعليه الالتزام بأوامر الله فيما استخلافه، (وما تقدم شبه الجملة) ←(له) إلا تعظيما للمتقدم الإحاطة المطلقة لله بما خلقه ، فـ(ما) اسم معنى، موصول، يعم كل ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وجميعها حدث فيها تحويلات في بنيتها السطحية مالك الملك . فـ"ظاهرة التقديم والتأخير أيًّا كانت تبقى ظاهرة جمالية، يمكن الاستفادة منها لتقدير قيمة التركيب من الوجهة الجمالية الخالصة"(معلوف،1966م، ص310).

الإحلال والاستبدال:

- إحلال الضمير (له ←الهاء) محل الاسم الظاهر (الرحمن) المذكور في الآية السابقة(إحالة نصية) إلى سابق، وهذا الإحلال أفاد الترابط بين اللاحق والسابق وإبراز المعنى.
- إحلال (ما) الاسم الموصول محل الاسم الظاهر(المخلوقات)، وهذه إحالة خارجية إلى خارج النص، وقد جاءت بمعنى (الذي) فـ(أسماء الموصول من المعارف، ووجود الصلة معها يزيل غموضها ويحدد المقصود منها" (عيد،1992م،ص167)، ويُلاحظ أن المسند إليه (ما) ورد أربع مرات متتالية محيلا إلى خارج النص للدلالة على الإحاطة المطلقة لله بما هو كائن في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فما اسم موصول "يعم الموجودات كلها ... يعم العقلاء وغيرهم"(ابن عاشور، 1989م، 257/27)، كما أن تكرار(المسند إليه) ولَّد دلالة قوية في النص، فهو العنصر المهم في الجملة الاسمية، وتكراره توكيدا له، وتنبيها للمخاطب أن كل ما في هذا الكوكب الأرضي لله تعالى، وحاشا أن يملك أحدهم شيئا لنفسه، فليتعظ بني آدم في ذلك .

الحذف:

- حذف(الخبر) حذفا جائزا في الجملة(1) وإقامة شبه الجملة(لـه) المتعلق بالمحذوف الخبر تقديره(كائن أو مستقر)، أجاز النحاة التعليق بمحذوف لمقدر، والمحذوفات ثمانية منها: الخبر، الصفة، الحال، فعل الصلة، الفعل(ابن هشام، كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،1،ص199) وهو حذف جائز، واللام هنا للملك، وهي مناسبة لسياق الملكية التي وردت فيه، فاللام الجارة لها دلالات متنوعة على حسب السياق، وقد تحدث النحاة عن هذه الدلالات ، وهي:" الانتهاء(كل يجري لأجل مسمى) + الملك (لله ما في السموات والأرض) + وشبه الملك (الباب للدار) + التعدية (وهبت لزيد مالا) + وللتعليل (جئتك لإكرامك)+ زائدة قياسا (لزيد ضربت) + زائدة سماعا (ضربت لزيد)"(عبدالحميد،1999م، ص 345- 346).

- حذف (الخبر)المسند، المتعلق(شبه الجملة)(له) من جملة(2)+(3)+(4)، والاكتفاء بالمبتدأ المسند إليه(ما)، والغرض من هذا الحذف الإيجاز والترابط بين الجمل، فالدليل على الحذف موجود في الجملة الأولى(له ما في السموات والأرض)، وبالعودة إلى سابق حدث ترابطٌ بين الجمل الأربع ، فبدت وكأنها جملة واحدة مترابطة بوساطة الحذف والعطف، اللذين بدورهما أسهما في تكثيف الدلالة حول المتقدم(المسند).

بين النص القرآني السابق بيئتان، وهما البيئة الظاهرة وهي السماوات والأرض وما بينهما من أحياء(إنسان+ حيوان + نبات) وجمادات(أرض + سماء +جبال+ ماء + هواء ...إلخ)، والبيئة غير الظاهرة(ما تحت الثرى) من ثروات طبيعية (مياه جوفية + معادن + عوالم خفية ...إلخ) . وهذه البيئة الطبيعية ملك لله تعالى، فكل ذرة على هذه الأرض هي لله تعالى، وهو يخبرنا في أكثر من نص قرآني بأنه سخر كل ما في الأرض للإنسان، كتسخير البحر: الجاثية(12- 13)، (الزخرف -13)، وتسخير ما في السموات والأرض(لقمان - 20)، (الحج ، 65)، وهذا التسخير يعد تمليكا واستخلافا من الله تعالى للإنسان وميزة له من دون المخلوقات الأخرى، يقول تعالى في ذلك:

- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(البقرة:30).

الروايات تختلف في تفسير(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)، وسبب الاختلاف مفردة(خليفة) التي تشير إلى وجود مخلوقات على الأرض قبل الإنسان، وقد ذكر(الطبري،2000م،1/458– 472) جميع الروايات في تفسير طويل، ما يهمنا هنا أن الإنسان مستخلف من الله تعالى في ملكه، والله تعالى خاطب الملائكة بجملة اسمية مؤكدة فلم يقل: (أنا جاعل) بل قال:(إني جاعل) يؤكد بخلافة الإنسان، لذلك عليه أن يدرك أن الحكمة من خلقه هي استخلافه في الأرض ليحكم فيها بشريعة الله ومنهجه فيعمرها بالحق والعدل، فيكون واعيا لمعنى الاستخلاف، وهو تمكين الله للبشر عامة، ولبعضهم خاصة في إحلالهم محل من كان قبلهم في ملكية الأرض والمال(الناصر،2013م، ص4)، فهي مفردة تشير إلى عدة معاني: (المسؤولية + الأمانة + العمل مخلص+ التداول + الانتقال ... إلخ) فعندما يستشعر الإنسان المسؤولية في بيئته التي يعيش فيها، فأنه سيسعى حتما إلى حماية مواردها من أي إهدار أو عبث، مراقبا الله تعالى في جميع أعماله، مما يسهم في خدمة الحاضر والمستقبل، فيكون نعم الخليفة لله في أرضه، وهذا ما تسعى إليه التنمية المستدامة في دعوتها العالمية لحماية كوكب الأرض، وتحسين حياة الجميع في كل مكان.

فالإنسان خلق لإعمار الأرض وليس لخرابها، يقول تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:61)، و﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(الملك:15)، الخطاب هنا جماعي لكل البشر، وقد ذلل الله تعالى ما في الأرض لهم، فعليهم أن يسعوا لإعمارها والعيش بسلام.

ثانيا: الفساد:

يدرك الجميع أن الفساد مهما كان نوعه يعد آفة تعيق أي تقدم في المجتمع، فهو المقوض الرئيس لكافة دعائم التنمية، ومخاطره تمتد إلى شتى نواحي الحياة البيئة والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، "لا سيما على الدول النامية التي عدت مرتعا خصبا للفساد المالي والإداري، لما تحتويه من عناصر وفرت الظروف الملائمة لظهوره ونموه وانتشاره على المدى الواسع "(الفتلي،2009م، ص 138)، والمتأمل في النص القرآني يجد أن مفردة الفساد في النص القرآني وردت حوالي (خمسين) مرة، وجميعها تنبذ الفساد في الأرض، وتحمل الإنسان المسؤولية في ذلك، فلولا وجود الفساد في الأرض لعم الخير، وعاش الإنسان عيشة كريمة. ومن النصوص القرآنية التي ورد فيها ذكر الفساد، قوله تعالى:

- ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾(البقرة: 205)

- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف/ 85)

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم: 41)

- ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: 77)

تحليل قوله تعالى: **﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾**

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، يذكر الرازي الآراء التي قيلت في تفسيرها ، ويختم بقوله: "القول الثاني هو اختيار

أكثر المحققين من المفسرين، أن هذه الآية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة "(الرازي،1420هـ،344/5)،وهذا ما أراه، حتى ولو نزلت في(شخص ما)، "فيحتمل الواحد ويحتمل الجمع" (الرازي،1420هـ،344/5). نلاحظ أن النص السابق يتكون من خمس جمل خبرية فعلية بسيطة وجملة اسمية مركبة، والجدول التالي يوضح بنية كل جملة:

البنية السطحية	البنية العميقة	قواعد إنتاج اللغة	قواعد التحويل
إذا تولى	تولى شخص	إسناد	ترتيب + زيادة+ حذف
سعى في الأرض	سعى شخص	إسناد+ إضافة(غير مباشرة)	حذف
ليفسد فيها	أفسد شخص	إسناد + إضافة(غير مباشرة)	زيادة + حذف + إحلال
ويهلك الحرث والنسل	أهلك شخص	إسناد + تخصيص	حذف مسند إليه+ ركن إسناد
والله لا يحب الفساد	أحب الله	إسناد(1)مبتدأ + تركيب إسنادي(2)(فعل ، فاعل) خبر+ تخصيص .	ترتيب+ زيادة + الحذف + توسيع

القواعد التحويلية في النص :

الترتيب :

- تقديم إجباري في البنية السطحية (إذا تولى) لأسلوب الشرط (إذا) الذي له الصدارة في الجملة، فشرط الفساد هو التولي، وفي هذا إشارة إلى التحري في اختيار من يتولى أي منصب لكيلا يستخدمه في أي فساد.
- تقديم لفظ الجلالة في البنية السطحية (الله لا يحب الفساد) ←(لا يحب الله الفساد) حول الجملة من جملة فعلية بسيطة إلى جملة اسمية مركبة، وأحدث تكثيفا دلاليا في تقوية حكم نفي حب الله للفساد، وتجديد هذا الحكم لأي فساد في إي عصر كان. ومن الباحثين من يرى في مثل هذا التركيب أن الجملة " لا تعد من الناحية اللغوية، بل هي كالمثبتة تماما، ... وليست الآية (والله لا يحب الفساد) إلا تعبيرا آخر لنفس المعنى الذي تتضمنه جملة (والله يكره الفساد) ... وليس فيها ذلك التَّقوي في المحكوم عليه، كما يقول عبد القاهر"(أنيس، 1966م، ص229، 300).

الحذف:

- حُذف الفاعل جوازا من جميع الأفعال من البنية السطحية (تولى، سعى، يفسد، يهلك)، فقدر بضمير مستتر يحيل إلى سابق قوله تعالى:(من يعجبك قوله) فأحدث التحويل بالحذف والإحالة ، إيجازا وترابطا بين جميع الجمل الفعلية، وحدث الالتفات من الفعل الماضي(تولى، سعى) إلى الفعل المضارع (يفسد، يهلك) استحضارا لتلك الصورة الهائلة من الفساد والهلاك، يقول السامرائي في ظاهرة الالتفات: "والمقصود بحكاية الحال الماضية أن تعبر عن الحدث الماضي بما يدل على الحاضر استحضاراً لصورته في الذهن كأنه مشهد مرئي في وقت الإخبار"(السامرائي، 2000م، 319/3) .
- حُذف ركن الإسناد (يهلك) من الجملة المعطوفة (ويهلك الحرث و... النسل)، البنية العميقة له(ويهلك النسل← هلك شخص النسل)، فأسهم العطف والحذف إلى الإيجاز وترابط الجملتين، وتكثيف الدلالة حول ما يهلكه الإنسان.

الزيادة:

- زيدت (لام التعليل) في البنية السطحية عن قصد خدمة للسياق والمعنى (لـ + يفسد)، فسبب الفساد هو توكيل الأمور إلى غير أصحابها، وهذا ما نراه في حياتنا، فالفساد المالي والإداري يحاصر مرافق الدولة، فلا تنمية، ولا استدامة ما دام الفساد متأصلا بجذوره في جميع المرافق الحكومية، فعلى أولي الأمر الحرص على انتقاء الأشخاص أصحاب الأخلاق العالية، الذين يتصفون بالأمانة والإخلاص والنزاهة في عملهم وتفعيل مبدأ الثواب والعقاب، وغير ذلك من الوسائل التي تحد من هذه الظاهرة السلبية .
- زيدت (لا) النافية وجوبا، نتيجة التخصيص في الجملة بمفردة غير حسنة (الفساد)، فتحولت الجملة من جملة خبرية مثبتة (يحب، حب) إلى جملة خبرية منفية، وفي هذا النفي ذم للفساد بأنواعه، فالله تعالى لا يحب الفساد ولا المفسدين، وقد ذكر الله في أكثر من آية ذلك، وتوعدهم بالعقوبة، والنص القرآني لم يغفل عن أي فساد، فقد كافح أبرز أنواع الفساد التي تعيق أي تنمية في المجتمع كـ" الفساد العقدي، والفساد المالي، والفساد الأخلاقي والسلوكي، والفساد الإداري، والفساد السياسي"(الجرمان، 2019م، ص934).

الإحلال والاستبدال:

- أُستبدلت الحركة الإعرابية (الفتحة) محل الضمة نتيجة دخول لام التعليل(ليفسد) وتقدير (أن) الناصبة المضمرة وجوبا في البنية السطحية (أن يفسد). فـ(أن) من بين نواصب المضارع التي اختصت بالعمل مظهرة ومضمرة (عبد الحميد، 1999م،507: 513).
- إحلال الضمير(الهاء "فيها") محل الاسم الظاهر(الأرض) إحالة إلى سابق، أسهمت في ربط اللاحق بالسابق.

يلاحظ أن النص احتوى على معظم قواعد التحويل وأهمها (الترتيب + الحذف + الزيادة + الإحلال)، وجميعها كانت قواعد إجبارية أم اختيارية، ولدت دلالات مختلفة تناسب السياق، وتبرز المعنى المقصود.

وفيما يلي بعض النصوص القرآنية التي تتحدث عن الفساد والمفسدين، وأثارهما في التدهور البيئي، "أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، مِثْلِ: خَاسِرٍ، وَمُسْرِفٍ، وَظَالِمٍ، وَمُجْرِمٍ، وَفَاسِقٍ، فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الْكُفْرَ، وَمَا نَسَبَهُ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِ الذَّمَّ"(الشوكاني،1414م، ص70/1) يقول **الله تعالى**

- ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ البقرة: 27)

يحتوي النص السابق على ثمان جمل خبرية ← ثلاث جمل اسمية + خمس جمل فعلية،(1) جملة اسمية مركبة المسند إليه "الذين " + المسند جملة اسمية مركبة(2)← " أولئك هم الخاسرون "المسند إليه" أولئك" + المسند جملة بسيطة (3) (هم الخاسرون) . و القواعد التحويلية (الحذف + الإحلال) أسهمت في ترابط الجمل وإبراز المعنى ، فجميع من يقومون بالأعمال السيئة أخبر الله عنهم بخبر ثابت دائم وهو الخسران، يلاحظ أن المسند إليه (المبتدأ الأول) المذكور(الذين)هو رأس الهرم لجميع الجمل، وحذفه من جميع الجمل اللاحقة أسهم في ربط الجمل، وإبراز المعنى لهذه الأفعال المذمومة(ينقضون + يقطعون + يفسدون)، جاء المسند (خبر المبتدأ الأول "الذين") في آخر الآية جملة اسمية مركبة مثبتة (أولئك هم الخاسرون) ← فالثبوت والدوام لـ(لخسران) هو ما سيلازمهم حاضرا ومستقبلا ما داموا يخالفون أوامر الله، ويفسدون بتهاونهم في تنفيذها، وهذا ما نلاحظه في واقعنا من تدهور في جميع الجوانب الحياتية نتيجة مخالفة أوامر الله تعالى، إحلال الضمائر محل الاسم الموصول أسهم في ترابط الجمل، وإحلال صيغة الفعل المبنى للمجهول (يُوصَل) محل الفعل المبنى للمعلوم ولد تكثيفا دلاليا مفتوحا يناسب قوله تعالى:(كل ما أمر به).

- ﴿ **... وَلاَ تَعْثَـوْا فِـي الأَرْضِ مُفْسِـدِينَ** ﴾ (البقرة: 60) يتكون النص السابق من جملة فعلية إنشائية قواعدها التحويلية (الزيادة "لا الناهية"+ الإحلال" واو الجماعة" + الترتيب ← تقدم شبه الجملة "في الأرض" على الحال "مفسدين").

جميع القواعد السابقة في البنية السطحية، ولدت دلالة ووضحت المعنى، فزيادة أداة النهي حول الجملة من جملة خبرية تحمل خبرا إلى جملة إنشائية تفيد طلب الكف عن هذا الفعل المنكر(لا تعثوا)، ففي طلب النهي إلزام للمخاطب الجمعي بالكف عن هذا الفعل القبيح المحرم، وإحلال (واو الجماعة) محل الاسم الظاهر أسهم في الإحالة إلى سابق وربط اللاحق به، وتقديم شبه الجملة (في الأرض) ولّد اهتمام (المرسل) بالمكان وهو الأرض المستخلفة، التي تتطلب الإعمار بالخير، وليس الإفساد، والعيث الذي هو شدة الفساد واتساعه، وبالنظر إلى جملة(لا تعثوا في الأرض مفسدين) يُلاحظ أنها تكررت في عدد من الآيات(هود/85)،(العنكبوت/36) ، (الشعراء/183). ومن النصوص القرآنية التي وردت فيها مفردة الفساد قوله تعالى:

- ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف/ 56)
- ﴿ وَارْجُـوا الْيَـوْمَ الآخِـرَ وَلاَ تَعْثَـوْا فِـي الأَرْضِ مُفْسِـدِينَ ﴾ (العنكبوت/ 36)
- ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (الشعراء: 151، 152).
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: 81).

يُلاحظ أن النصوص القرآنية السابقة بشكل عام تصور في خطابها آفة الفساد المنتشرة في الأرض التي سببها الإنسان المستخلف فيها، وأغلب الجمل التي تحتوي بنيتها على مفردة (الفساد) أو مشتقاتها جاءت إنشائية بأسلوب النهي، محولة بقاعدة التحويل (الزيادة) لـ(لا الناهية) ، نهي الله تعالى الإنسان (المخاطب) لإلزامه على الكف عن الفساد بكافة أنواعه، وما ينهى الله عن فعل إلا لعظيم أضراره ومساوئه.

وقد اختلف المفسرون في تفسير ظهور الفساد في البر والبحر' فمنهم من يرى أن هذا الفساد يتمثل في" قحط النبات وقلة الأمطار ... من المعاصي ... وليس المراد بالبر والبحر في الآية كل بر وبحر في الدنيا، وإنما المراد حيث ظهر هناك"(الواحدي،1994م، ص435/3)، وورد عن " ابن عباس وعكرمة ومجاهد : الفساد في البر: قتل أحد بني آدم أخاه، وفي البحر: غصب الملك الجائر السفينة"(البغوي،1997م،274/6)، وورد من الفساد في البر والبحر نحو"الجدب والقحط وقلة الريح في الزراعات، والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس و الدواب، وكثرة الخرق والغرق، و إخفاق الصيادين والغاصة، ومحق البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار"(الزمخشري،1407هـ،482/3)، رغم اختلاف تفسيراتهم إلا أنهم لم يتصورا أن يصل الفساد إلى تلوث الهواء بالغازات السامة، بفعل الوقود الحجري والأسلحة الكيميائية والبيولوجية الفتاكة التي لم يكن لها وجود في أيامهم، ولا أن يلوث الماء بمخلفات المصانع من الكيماويات، ولا أن تدفن النفايات الذرية في البر والبحر، والإنسان بذلك خالف أوامر الله وتعاليمه، فلم يحافظ على أمانة استخلافه على الأرض بسبب استكباره وجهله، فأفسد الهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه، فضيع الكثير من حقه وحق الأجيال القادمة، وما التنمية المستدامة إلا محاولة إصلاح ما أفسده الإنسان بجهله وعتوه، والنصوص القرآنية التي وردت فيها مفردة الفساد ومشتقاتها تحتاج دراسة تحليلية وافية لا يسعنا في هذا البحث دراستها .

ثالثا- تذليل الأرض:

البيئة الطبيعية مليئة بخيرات الله تعالى، وقد ذللها للإنسان، وما عليه إلا أن يسعى، ويعمل للتمتع من خيراتها من

دون إفساد، ومن النصوص القرآنية التي تشجع الإنسان على التنمية المستدامة في بيئته الطبيعية التي يعيش فيها، والتمتع بخيرات الله وضمان الاستقرار النفسي والبيئي قوله تعالى:

- ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا**﴾(البقرة/168)، تتمثل القواعد التحويلية في هذا النص في قاعدة الإحلال(أسلوب النداء+ أسلوب الأمر+ الترتيب) التي شكلت بؤرة جذب للمخاطب، وحرص المرسل (الله تعالى) إرسال الخطاب في أسلوب إقناعي يعكس أهمية الرسالة، وهي الأكل (مِمَّا فِي الْأَرْضِ) إشارة إلى الموارد التي تزخر بها البيئة، وهي نعم الله تعالى التي يجب المحافظة عليها، فكل نعمة تلزم الحمد والشكر، واستشعار مراقبة الله تعالى، أما الإفساد والاستهتار بهذه النعم فلا يخلق إلا أزمات بيئية خانقة . ومن الآيات التي تبين تذليل الطبيعة بخيراتها للإنسان، وتحث على العمل والسعي في الأرض والإنتاج، وهذا ما تسعى إليه التنمية المستدامة **قوله تعالى**:

- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(الملك: 15).

يتكون النص السابق من جملة خبرية اسمية مثبتة في بداية النص (هو الذي)+جملة فعلية(صلة الموصول) + جملة إنشائية طلبية "الأمر" (امشوا في مناكبها)+ جملة إنشائية "الأمر"(كلوا من رزقه) + جملة خبرية (إليه النشور) .

القواعد التحويلية: (الإحلال+ الترتيب +الحذف). وجميع هذه القواعد التحويلية أسهمت في دعم السياق النصي، الذي عكس قدرة الله في تهيئة الأرض للإنسان، بدأ النص بجملة اسمية (هو الذي) جعل لكم الأرض ذلولا تفيد الثبوت والدوام لهذه النعمة العظيمة، وما على الإنسان إلا أن ينفذ أوامر الله (امشوا+ كلوا) خطاب جماعي للبشرية جمعاء، طلب يدعو إلى العمل والإنتاج، وهذا ما تسعى إليه التنمية المستدامة من تحقيقه على أرض الواقع لتحسين أوضاع الناس، ويختم المرسل (سبحانه وتعالى) بجملة خبرية اسمية مثبتة تحويلية بالحذف والترتيب(إليه النشور)، أفادت ثبوت حقيقة البعث والرجوع لله تعالى والجزاء والحساب، وأن الإنسان في أنشطته المختلفة ملزم بمنهج ديني، يسير عليه. ذكرت مفردة (النشور) في القرآن الكريم مرتين، في هذا النص ذُكرت بعد ذكر نعم الله تعالى في تذليل الأرض وما فيها، وبعد طلب الله تعالى بالسعي والإنتاج والتمتع بنعمه، وكأنه سبحانه وتعالى يُذكِّر الإنسان أن يعمل كل ما في وسعه لإعمار هذه الأرض بالخير، وفي الوقت نفسه لا ينسى حقيقة بعثه واللقاء به، والمرة الثانية ذكرت في قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾(فاطر/9)، وفي هذه الآية صور حقيقة مشهد البعث وإحياء الموت للتذكير والعظة.

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: 10).

يحتوي النص السابق على (أداة الشرط (إذا) + جملة فعلية (قضيت الصلاة) فعل الشرط+ ثلاث جمل إنشائية طلبية (أمر) ← (1- انتشروا(جواب الشرط) 2- ابتغوا 3-اذكروا)+ جملة إنشائية طلبية(تمني) لعلكم تفلحون). قواعد التحويل في البنى السطحية السابقة هي: (الزيادة" أداة الشرط+ تحويل الفعل(قضى) للمجهول+ إحلال الجمل الإنشائية (انتشروا+ ابتغوا+ اذكروا) محل الجمل الخبرية + زيادة أداة التمني، الحذف، الإحلال). فعل الشرط هنا جملة (قضيت الصلاة) وهي الهرم الرئيس المرتبط بجميع الجمل، فبعد قضاء الصلاة ←(الانتشار+ الابتغاء + الذكر) النتيجة ← (الفلاح)، وهذا التكثيف الدلالي للوسائل التحويلية والإقناعية كان له تأثيره المقصود على المتلقي، وإقناعه بأن تنفيذ هذه الأمور هو السبيل إلى النجاة في الحياة والآخرة.

- ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ (النبأ 6)، قواعد التحويل ←(الزيادة " أداة الاستفهام + أداة نفي وقلب)← استفهام يفيد التقرير بوقوع جعل الأرض مهادا (قارة، ساكنة ، ثابتة)، فـ(لم) هنا لا تنفي بل تؤكد معنى التقرير، وهو الغالب في صيغ الاستفهام التقريري الذي يكون بعده نفي.

- ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(زخرف/ 10)، قواعد التحويل ← (الإحلال + الترتيب+ الزيادة)

- ﴿ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات/ 48) ،قواعد التحويل ← (الترتيب + الإحلال)

- ﴿ وَاللَّـهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (نوح/ 19)، قواعد التحويل ← (الترتيب + الإحلال)

- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا... ﴾(البقرة/ 22) ،قواعد التحويل ← (الترتيب + الإحلال)

- ﴿ ... وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة 36) ،قواعد التحويل ← (الترتيب + الإحلال + الحذف)

- ﴿...وإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية 20) ، قواعد التحويل ← (الحذف + الزيادة)

- ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا...﴾ (غافر/ 64) ، قواعد التحويل ← (الترتيب + الإحلال)

- ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف/10) قواعد التحويل ← (الزيادة +الترتيب + الإحلال)

يُلاحظ أن جميع النصوص السابقة تحتوي على قواعد تحويلية في بنيتها السطحية، أسهمت في إبراز المعنى وتأكيده، فهي تؤكد في أنواع خطاباتها على نعمة الأرض المستقرة المهيأة للبشر، وتدعوهم إلى العمل والإنتاج واستثمار الأرض والانتفاع بها، فالإنسان مستخلف على هذه الأرض للتعمير،

وليس للهدم والإفساد، فالبيئة صالحة، مذللة، وما على الإنسان إلا السعي الحثيث لإنجاز ما عليه من مهام بوعي ومسؤولية ، مدركا أنه في جميع نشاطاته البيئية والتنموية مرتبط بعقيدة يسير عليها لتسيير شؤونه، والنصوص القرآنية لا تخلو من تذكيره بهذا الأمر في كل سياق يتطلب ذلك.

المبحث الثاني: أنماط التحويل في النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة في البيئة الاقتصادية

بالعودة إلى النص القرآني في مسألة الجانب الاقتصادي نجده مليئا بالنصوص المختلفة التي تهتم بتنمية هذا الجانب، فهو أحد أهداف التنمية المستدامة التي تسعى إلى تحقيقه، وموضوع علم الاقتصاد يعرف بأنه: "السلوك الاقتصادي للإنسان الذي يتجسد في علاقة الإنسان بالأموال، أو بالأحرى علاقة الإنسان بالإنسان من خلال الأموال، علاقته بالأموال من حيث إشباعها لحاجاته المختلفة، وكليات هذه العلاقة تنحصر في اكتساب الأموال وإنفاقها، وقد أرجع علماء الاقتصاد هذه الكليات إلى أربع شعب؛ الإنتاج والاستهلاك والتبادل والتوزيع، مدرجين في هذه الشعب الأربع كل المسائل والموضوعات الاقتصادية المتعددة والمتنوعة"(دنيا، 2007م، ص12). ومن منطلق الإنتاج والاستهلاك تناولت في هذا المبحث قضيتين مهمتين ذكرهما النص القرآني، وهما ذات علاقة وثيقة بالجانب الاقتصادي وهي:

1- الإسراف 2- الربا

أولا : <u>الإسراف :</u> يعد الإسراف من الآفات الكبرى التي تسبب انخفاض النمو الاقتصادي، فالإسراف في سلوك الفرد يؤدي إلى آثار سلبية على الفرد والأسرة والمجتمع في شتى المجالات، التي بدورها تؤثر على الاقتصاد تأثيرا سلبيا، فسَفَه الإنسان وعبثه بلغ حدا خطيرا، فعلى الرغم من التقدم الحضاري، فإنه ما يزال نصف شعوب العالم يعاني خدمات متدنية، في الثروات الطبيعية أهمها الماء والغذاء، فلو أن الإنسان اهتم بالاعتدال والوسطية في الإنفاق، لما وصل الحال إلى خطر تهديد نقص هذه الموارد، فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بميزان وقدر، يقول تعالى :﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾(الحجر/21)، ومن هذا نفهم أن الله تعالى خلق كل شيء بمقدار معلوم وعلى الإنسان أن يعي ذلك، ويبتعد عن الإسراف و التبذير في جميع شؤون حياته، و من الآيات التي تتحدث عن ظاهرة الإسراف، قوله تعالى:

- **﴿يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ وَكُلُوا وَاشرَبُوا وَلا تُسرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسرِفِينَ﴾**[الأعراف:31].

<u>التحليل:</u> يذكر الشوكاني في تفسير هذه الآية قوله: "هذا خطاب لجميع بني آدم، وإن كان واردا عن سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب... والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده واقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالا أو حلل حراما، فإنه يدخل من المسرفين ويخرج عن المقتصدين"(الشوكاني، 1414هـ، ص238/2)، هنا توضيح مهم من الشوكاني لسبب اختيار المنادى (بني آدم) هو التعميم، فخطاب النص القرآني موجه إلى جميع البشر وليس لفئة دون فئة. يُلاحظ أن النص السابق يتكون من خمس جمل (خبرية) فعلية، بسيطة+ جملة اسمية مركبة خبرها (تركيب إسنادي)، بنية كل جملة كما يوضحه الجدول التالي:

البنية السطحية	البنية العميقة	قواعد إنتاج اللغة	قواعد التحويل
يا بني آدم	نادى الله بني آدم	تخصيص	حذف + إحلال
خذوا زينتكم عند كل مسجد	أخذ بني آدم الزينة عند كل مسجد	إسناد+ تخصيص(1)+تخصيص(2) + إضافة مباشرة	حذف + إحلال
وكلوا	أكل بني آدم	إسناد	الحذف + إحلال
وأشربوا	شرب بني آدم	إسناد	الحذف + إحلال
و لا تسرفوا	أسرف	إسناد	الزيادة + إحلال
أن الله لا يحب المسرفين	أحب الله	إسناد(1) مبتدأ+ تركيب إسنادي(2) (فعل+ فاعل) + تخصيص.	ترتيب+ زيادة + حذف + توسيع

يحث النص القرآني السابق على الوسطية في الاستغلال، وإدارة الميزانية برشد وعقلانية، فـ" مبدأ الاعتدال والوسطية أحد المبادئ الرئيسة التي يقوم عليها سلوك الإنسان المسلم"(زغدود،2019م، ص20)، ويشير إلى إشباع الحاجة من دون هدر وإسراف، ليساعد على زيادة النمو الاقتصادي والحد من تدهوره. وبالنظر إلى بنية النص السطحية، نجد أنها مزدحمة بالجمل الإنشائية المترابطة بعدة وسائل اتساقية (الوصل+ الإحالة)، وما هذا إلا دليل على أهمية الخطاب المرسل من (الله سبحانه وتعالى) مخاطبا (بني آدم) بجمل محولة عن الأصل تناسب سياق النص القرآني.

<u>القواعد التحولية في النص:</u>

<u>الإحلال والاستبدال:</u>

- إحلال التركيب(يا بني آدم) في البنية السطحية بدلا من الجملة العميقة (نادى الله بني آدم)، حيث حلت أداة النداء ((يا) محل ركني الإسناد (الفعل والفاعل)←(نادى الله) ،وحل المنادى محل المفعول به بقصد تحويلها من جملة خبرية إلى

جملة إنشائية طلبية ندائية، تفيد الخطاب المباشر المهم للقضية المطروحة، وما تخصيص النداء للمركب الاسمي (بني آدم) إلا إشارة إلى عالمية الخطاب، فالنداء هنا لجميع البشر فلم يخص فئة باسمها، وبعد هذا النداء توالت أربع جمل إنشائية طلبية لـ(بني آدم)، منها ثلاث جمل بأسلوب الأمر (خذوا + كلوا + أشربوا) غرضها الإباحة لكنها إباحة مقيدة بجملة النهي (لا تسرفوا)، وكأنها تذكير لهم بعاقبة مخالفة أوامر الله، وبأن النعم تتبدل إذا لم يتم المحافظة عليها، وهذا ما نسمعه في واقعنا من الدعوة لمعالجة الأزمة العالمية الاقتصادية، وعقد الاجتماعات والمشاورات لحلها، فالإسراف في الاستهلاك ومحدودية الإنتاج له تأثيره الخطير في الجانب الاقتصادي، ولهذا أكد سبحانه وتعالى بأنه لا يحب المسرفين.

- استبدلت الصيغ الفعلية الماضية (أخذ + أكل + شرب) الموجودة في البنية العميقة بالصيغ الطلبية (خذ + كل + اشرب) في البنية السطحية لما يتطلبه السياق لإفادة الخطاب الطلبي بوساطة الأمر الدال على الحاضر والمستقبل.

- إحلال الضمير (واو الجماعة) بدلا من المنادى الجمعي (بني آدم) في (خذوا + كلوا + اشربوا + لا تسرفوا)، ومطابقة الجنس تعد قاعدة إجبارية، وقد أسهمت الإحالة إلى سابق بالضمير الجمعي في اتساق النص وترابط جمله.

الحذف:

- حُذف (الفعل والفاعل) المسند والمسند إليه الموجود في البنية العميقة (نادى الله) حذفا إجباري، اقتضاه التركيب الإنشائي المستبدل عنهما لإنجاز دلالة تناسب السياق.

الزيادة:

- زيدتْ أداة التوكيد في الجملة السطحية الخبرية (إن الله لا يحب المسرفين) فتحولت من جملة فعلية بسيطة في البنية العميقة(أحب الله) (فعل وفاعل) إلى جملة اسمية ، مؤكدة، مركبة ، خبرها جملة فعلية منفية بسيطة (لا يحب المسرفين)، وهذا التحويل في البنية السطحية ولد تكثيفا دلاليا أبرز المعنى وأثار تفاعل المتلقي.

- زيدتْ (لا) النافية في الجملة السطحية الخبرية (لا يحب المسرفين) فتحولت من جملة خبرية بسيطة مستقلة إلى جملة مرتبطة بالتوكيد، فتوكيد النفي يعد توكيدا آخر، فالله تعالى أباح التمتع بالخيرات من(ملبس + مأكل + مشرب) لكن بحدود ومن دون إسراف، فالمسرف غير محبوب عند الله نتيجة إسرافه الذي يضر ما حوله ويضر المستقبل، وهذه القضية هي من الأساسيات التي يقوم عليها مفهوم التنمية المستدامة، فالوسطية والاستغلال الأمثل للميزانية البيئية، هو ما يحفظ حقوق الآخرين وحقوق الأجيال القادمة، وما هذا التحويل المكثف في البنية السطحية من المرسل إلا عن قصد ليخدم القضية المهمة التي طرحت، ويخدم السياق التي طرحت فيه.

وفي هذا السياق نجد عددا من النصوص تنهى عن الإسراف والتبذير، وترغب بالسعي والعمل والاستفادة المثلى من النعم التي سخرها الله تعالى، وتعد هذه الأوامر والتعليمات أسس الفكر التنموي المستدام، ويلاحظ أن جميع تراكيبها تحتوي على تحويلات في بنيتها السطحية وقواعد التحويل منوعة في كل نص مما يخدم النص والقضية المطروحة، وفيما يلي بعض النصوص وقواعد التحويل فيها، **يقول تعالى:**

- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام/141).

يذكر الله سبحانه وتعالى في النص السابق صنوفا من البيئة النباتية متمثلة في الجنات المعروشات وغير المعروشات والنخل والزرع المختلف أُكله والزيتون والرمان المتشابه وغير المتشابه، ثم يأمر الإنسان بثلاث أوامر اتجاه هذه الثروة النباتية، فجاءت التحويلات في البنية السطحية مناسبة للسياق كالتالي:

- ذكر نعمة الأكل ←كلوا من ثمره إذا أثمر ← شرط الأمر بالأكل أن يكون مثمرا ناضجا، وفيه ترخيص للمالك قبل أداء حق الله.

- ذكر التصدق والزكاة على النعمة ←وآتوا حقه يوم حصاده ← الأمر بإتيان حقه مقيد بزمن حصاده.

- ذكر النهي عن الإسراف فيهما ← (ولا تسرفوا) ← النهي عن الإسراف فيه عدة تفسيرات أهمها ما ذكره القرطبي: " قول إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله فهو سَرَفٌ وَإِسْرَافٌ. وقال ابن زيد: هو خطاب للولاة، يقول: لا تأخذوا فوق حقكم وما لا يجب على الناس. والمعنيَان يحتمِلهما قوله عليه السلام: (المُعْتَدِي في الصدقَة كمانعها)...قال السُّدِّيُّ:" ولا تُسْرِفُوا" أي لا تُعْطُوا أموالكم فتقعدوا فقراء."(القرطبي،1964م، 110/7)، وجميع هذه التفسيرات آراها مناسبة فلا ضرر ولا ضرار، وهذا من ضمن ما تسعى إليه التنمية المستدامة في أهدافها، القضاء على الجوع وتوفير الأمن الغذائي والتغذية المحسنة، وتعزيز الزراعة المحسنة المستدامة، وتوفير بيئة اقتصادية مزدهرة لجميع أفراد المجتمع، فاستقرار الفرد في حياته هو استقرار للمجتمع.

- يلاحظ أن الجمل والتراكيب في النص القرآني السابق جاءت مترابطة بوسائل اتساقية هي:(الوصل+ الحذف) فبدت الجمل الخبرية والإنشائية كأنها جملة واحدة، عكست مشهدا مرئيا واحدا.

هناك نصوص عديدة تنهى عن الإسراف والطغيان وتعدها من المحرمات التي يجب على الإنسان المسلم أن يتجنبها، فنتائجها سلبية على الفرد والمجتمع، والمتأمل في النص

القرآني يجد العديد من الخطابات في هذا الشأن، من ذلك، قوله تعالى :

- ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ...﴾ [طه : 81]

نلاحظ أن البنية السطحية للنص القرآني السابق تتكون من (4) جمل فعلية ← (2) إنشائية← (طلبية، أمر+ نهي) +(2) خبرية← (فعلية (1) المسند ماضي+ فعلية(2) المسند مضارع).

القواعد التحويلية في البنية السطحية في النص:

الإحلال والاستبدال:

- إحلال صيغة الأمر الإنشائية في البنية السطحية (كلوا) محل الجملة الخبرية التي في البنية العميقة (أكل أشخاص)، لإفادة الأمر بإباحة الطيبات.

- إحلال الضمائر (واو الجماعة + كاف الخطاب) فكانت عامل ربط هذه الجملة بما سبق من جمل.

- إحلال حركة (الفتح) محل حركة الضم في الفعل المضارع فـ(يحلَّ)، وذلك بسبب أن الناصبة المضمرة وجوبا بعد (فاء السببية).

الزيادة:

- زيادة (لا) الناهية (لا تطغوا) فبعد الأمر بأكل أنواع الطيبات المهيئة، يأتي السياق بصيغة النهي(لا تطغوا) ، أي لا تتجاوزوا حدود الله فيما رزقتم، فهناك قوانين تحكم الإنسان وعليه الالتزام بها، وأن يدرك بعقله أن كل أمر أو نهي فيه إلزام للمخاطب، ومن يخالف ما أمر به الله تعالى ونهى عنه، فغضبه سيحل عليه(فيحل عليكم غضبي).

- زيادة (فاء السببية) لإفادة أن سبب غضب الله هو طغيان الإنسان فيما رزق من نعم.

الترتيب:

- تقديم شبه الجملة (عليكم) يدل على اهتمام المرسل (سبحانه وتعالى) بالمخاطب المحور الرئيس في هذا النص وهو (الإنسان) الذي تكرر ذكره (أربع) مرات بالضمير (الإحالي) الجمعي، لذلك عليه أن يعي هذه الخطاب الجمعي.

الحذف:

- حذف نون الفعل المضارع (تطغون)←(تطغوا)، لوجود أداة الجزم (لا الناهية)، فالأفعال الخمسة تعرب بعلامات فرعية تنوب عن الحركات الأصلية، وثبوت النون يحل محل الضمة في حالة الرفع، وحذف النون يحل محل الفتح والسكون في الأفعال الخمسة في حالة الجزم والنصب، وهذه الحالة من القواعد الإجبارية في النحو العربي.

لاحظنا في البنى السطحية للنصوص السابقة أن القواعد التحويلية كان لها حضور مشهود في إبراز ظاهرة الإسراف، وكان لها الأثر الكبير في الخطاب القرآني وفي إيصال المطلوب، فكل قاعدة من القواعد التحويلية يتطلبها السياق فتفرض نفسها في البنية السطحية لإيصال المعنى مفهوما خاليا من أي غموض.

ثانيا- الربا:

يعد الإنسان هو المحور الرئيس في أهداف التنمية المستدامة، لأنه المسؤول الأول والأخير في توفير بيئة اجتماعية خالية من الأزمات والتعقيدات، فعندما تتناغم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتجسد على المستوى الاجتماعي الخير والعدل وكل ما هو جميل، تزدهر علاقته مع الطبيعة فتعطي خيراتها الموجودة في الأرض والسماء له بكل سخاء، فينتفع بها مستفيدا من هذا العطاء، وظلم الإنسان وكفرانه بالنعم الإلهية هما اللذان يؤديان إلى تخريب الحياة وسقوط الحضارات، ومن هذا الجانب يعد الربا آفة اجتماعية، تدمر العلاقات الإنسانية بما يسببه من آثار سلبية على النفوس وتدهور في الاقتصاد، لأنه يخلو من العدل فهو يحقق مصلحة القارض للمال، ويتهاون في حق المقترض، فهو يعرف بأنه: إقراض مبلغ مالي وتسديد مبلغ أكبر منه عند حلول موعد السداد، فهو زيادة مشروطة على أصل المال نظير التأجيل، فهو تعامل إنساني بين جانبين، أحدهما يستفيد والآخر يخسر، لذلك فهو محرم في ديننا الإسلامي القائم على العدل والمساواة، وكذلك محرم في أغلب الديانات السماوية، ومما قاله علماء الاقتصاد في هذا الجانب:" إن النظام الاقتصادي الرأسمالي يقوم على بعض المفاهيم والقواعد التي هي أساس تدميره إذا لم تعالج... ومما ذكروه من أسباب الأزمات الاقتصادية المالية والعالمية أولاً: انتشار الفساد الأخلاقي والاقتصادي مثل: الاستغلال، والكذب والشائعات المغرضة والغش والتدليس والاحتكار، والمعاملات المالية بالعقود الوهمية....ثانياً: في النظام الرأس مالي تصبح المادة سبيلاً للطغيان، وسلاحاً للطغاة، ويصبح المال هو المعبود، وأصحابه هم المنفذون والمهيمنون على السياسة العامة، واتخاذ القرارات السياسية، فتغدوا مصائر الشعوب عالميا بأيديهم ولخدمة أغراضهم"(سمارة، إحسان، 2019م، ص11). والتعاطي مع الربا هو أحد أسباب الأزمة الاقتصادية العالمية، وقد شن النص القرآني على متعاطي الربا هجوما كبيرا، سنلاحظه أثناء تحليل بعض النصوص القرآنية.

المتأمل في النص القرآني يجد عددا من النصوص القرآنية التي تحرم الاحتكار والربا بغرض تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع، والحيلولة دون إثراء طبقة على حساب الآخرين وحرمانهم، فمفردة (الربا) تكررت (ثمان) مرات في النص القرآني في أربع سور في ست آيات، حيث تم ذكرها(خمس مرات) في ثلاث آيات من سورة البقرة، وواحدة في كل من سور آل عمران والنساء والروم ، يقول تعالى :

- الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

- يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ

- إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ

- يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ

- فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (البقرة/275-279).

لقد كانت هذه الآيات آخر آيات في النص القرآني نزلت عن الربا، فحرمته تحريما قطعيا، وفيها شن الله تعالى هجوما عنيفا على المرابين في الآيات السابقة، فصورهم بصورة بشعة ومرعبة تفزع كل من تخيل مرآها، بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ...﴾ فشبههم بصورة المصروع من مس الجن، يضطرب ويتخبط على غير هدى.

نجد النص السابق مكونا من الآتي:

- جملة← اسمية خبرية مركبة (الذين يأكلون الربا لا يقومون)

- المسند إليه" المبتدأ" (الذين)+ صلة الموصول (يأكلون الربا) جملة فعلية، خبرية، بسيطة، أزالت غموض الاسم الموصول واستحضرت بفعلها المضارع صورة آكل الربا في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل.

- المسند "الخبر" (لا يقومون) جملة فعلية خبرية بسيطة منفية

- جملة (إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) جملة فعلية (إلا كما يقوم الذي)+ صلة الموصول(يتخبطه) جملة، فعلية، بسيطة فعلها مضارع متعد.

القواعد التحويلية:

الإحلال والاستبدال:

- إحلال الاسم الموصول (الذين) في البنية السطحية محل الاسم الظاهر، فأحال بدوره إحالة خارجية إلى أشخاص خارج النص(كل من يمارس الربا) على هذه الأرض.

- إحلال (واو الجماعة)←(يأكلون + يقومون)، محل (الأشخاص الذين يأكلون الربا)، إحالة إلى سابق(الذين)، وهذه الإحالات ربطت بين اسم الموصول وصلته، فبدت جملة واحدة لا تكتمل أحداهما إلا بالأخرى، وهنا تجسيم استعاري للربا، و هو ملمح فني يبرز المعنوي الذي لا يدرك بحاسة من الحواس الخمس في صورة حسية، فبدت صورته حسية وكأنه شيء يؤكل، فصلة الموصول جملة فعلها مضارع (يأكلون) أفاد الحدث المستمر، فالربا مستمر باستمرار وجود الإنسان المرابي على هذه الأرض.

- إحلال المركب الفعلي كـ (ما+ يقوم) محل المصدر(قيام) الذي تقديره في البنية العميقة (يقوم قياما كقيام شخص يتخبطه الشيطان من المس← قام شخص قياما كقيام شخص "يتخبطه الشيطان من المس") ـ وهذا التحول أكسب الصورة حدثا زمنيا مستمرا سببه فعل المضارع، وهذا ما يخلو منه المصدر الصريح.

- إحلال (الهاء) في (يتخبطه) محل الفاعل (الذي) إحالة إلى سابق، إحالة أسهمت في الإيجاز وإبراز المعنى والترابط بين اللاحق والسابق.

- إحلال النون الثابتة محل الضمة في الأفعال (يأكلون، يقومون).

الترتيب:

- تقديم المفعول به جوازا في البنية السطحية على الفاعل بما يتناسب مع السياق (يتخبطه الشيطان)، الجملة الأصل أو (البنية العميقة) ← (تخبط الشيطان شخصا) ، والتقديم للمفعول به المتصل بالفعل المضارع(يتخبط) استحضر لنا صورة التخبط لآكل الربا وكأنها أمامنا، وفي هذا التعبير ردع ظاهر لآكل الربا، وتنبيه خفي للمتلقي من نتائج الربا البشعة، ذكر(ابن كثير) عن ابن عباس أن "آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخنق" (ابن كثير، 1999م،708/1).

الزيادة:

- زيدت أداة النفي في البنية السطحية (لا) يقومون، فنفت فعل القيام العادي لصاحب الربا.

- زيدت أداة الاستثناء الملغاة(إلا) فحصرت قيام الذي يأكل الربا بقيام (الذي يتخبطه الشيطان)، وتقييد القيام بأداة الحصر أبرز الصورة المأساوية لآكل الربا.

يختم الله تعالى آيات الربا في **سورة البقرة** بقوله:﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ ، في بداية الآيات تصوير آكل الربا في صورة بشعة، وتختم آيات الربا بصورة عنيفة، الحرب من الله ورسوله لآكل الربا الذي لم يتب عن فعله، وما هذا الهجوم على آكل الربا إلا لخطورته على الفرد والمجتمع.

﴿ ... وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾

يتكون النص السابق من أربع جمل، هن: جملة فعلية(1) فعل الشرط فعلها مضارع ←(تبتم) + الفاء الرابطة لفعل الشرط وجوابه+ جملة جواب الشرط(جملة اسمية(2) مركبة لتقدم الخبر شبه الجملة) ← (لكم رؤوس أموالكم)+ جملة فعلية (3) منفية (لا تظلمون)+ جملة فعلية(4) منفية (لا تظلمون).

القواعد التحويلية:

الزيادة:

- زيادة أداة الشرط (إن) للجملة الفعلية (تبتم)، فتحولت الجملة من إخبارية إلى إخبارية شرطية، فشرط التوبة عدم أخذ الفائدة.

- زيادة الفاء الرابطة (فـ)لكم، وضع النحاة شروطا لاقتران الفاء بجواب الشرط،(عبد الحميد،1999م، 708/1) ،ومن المحدثين من اعتبرها أداة وصل وربط،(المخزومي، 1986م،

ص289)، وأرى أنها أضافت هي وتقديم الخبر(فلكم) تأكيدا وقوة في المعنى، فتحقيق شرط التوبة هو الاكتفاء بأخذ ما تم قرضه فقط من دون فائدة.

- زيادة أداة النفي لركني الإسناد (لا تظلمون) ←المسند مبني للمعلوم
- زيادة أداة النفي لركني الإسناد (لا تُظلمون)←المسند مبني للمجهول

ختم الله تعالى الحديث عن الربا بهاتين الجملتين المنفيتين إشارة بجملة (لا تَظلمون) إلى الحال السابق للقارض الظالم وللمقترض المظلوم من الفائدة التي يأخذها منه القارض، وإشارة بجملة (لا تُظلمون) إلى اختلاف الحال للقارض، فلم يعد بعد توبته ظالما يستحق العقاب من الله تعالى، والنفي للمسند الفعل (يظلم) وبناؤه للمجهول وعدم الإفصاح عن الفاعل، يؤكد أن الله تعالى لا يريد أن ينسب الظلم إليه، لأنه حرمه على نفسه، كما ورد عن ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال: " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا"(الرازي،1420هـ،ص470/3)، فالربا ظلم كبير وخراب على الأمة، وهذا ما توصل إليه رجال الاقتصاد في أن الربا أحد الأسباب الرئيسية في تدهور التنمية الاقتصادية .

الترتيب:

- تقديم جائز للمسند(الخبر) فلكم رؤوس أموالكم، وهذا التقديم فيه اهتمام بالمسند الضمير المتصل بلام الجر(لكم) التي تفيد الملك، وتوكيد لملكية أموالهم المقترضة فقط دون فائدة، فالتوبة من أكل الربا وترك الفائدة لن ينقص من أموالهم، وليس ظلما لهم.

الإحلال والاستبدال:

- إحلال ضمير الرفع (تاء الفاعل) تبتم و(كاف الخطاب) مرتين (فلكم+ أموالكم)، و(واو الجماعة) مرتين (تظلمون، تظلمون) محل المخاطبين في هذه الآية، وهم الذين لم يتوبوا من ممارسة الربا، وهنا إحالة خارجية مستمرة إلى كل من يأكل الربا، وهذه الإحالة وأسلوب الشرط والتقديم والتأخير شكل بؤرة خطابية قوية فيها تنبيه وتحذير من الربا.
- إحلال التركيب الإسنادي المبني للمجهول في البنية السطحية بدلا من التركيب الإسنادي المبني للمعلوم لدلالة تأكيد الله تعالى على تحريم الظلم، ولم يذكر اسمه لتحريمه على نفسه، فأوحى للمخاطبين بكمال عدله، مستخدما الفعل المضارع الذي دل على أن هذا العدل لجميع الخلق في أي زمان أو مكان.

تحدث الله تعالى – قبل نزول الآيات السابقة في سورة (الروم) عن بشاعة الربا وذمه، وذكر أن الزكاة هي خير بديل لتنمية المال وحفظه، وهناك آيات قرآنية عديدة تحث على الزكاة وفوائدها في التنمية الاقتصادية، ولا يسعنا في هذا البحث الحديث عنها.

كانت أول آية في الربا هي، قوله الله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (39: الروم)

يوضح هذا النص أن كل الخير في الزكاة، والربا لا فائدة منه، ويتكون من جملتين شرطيتين بأداة الشرط (ما)، ففي الجملة الشرطية الأولى صورة سلبية ومرفوضة عند الله تعالى، والجملة الثانية صورة إيجابية ومقبولة عند الله تعالى، وجميع القواعد التحويلية في بنيتها السطحية هي من صورت للمخاطب الصورتين بشكل إقناعي وتأثيري، وهذه **القواعد** تتمثل في الآتي:

الإحلال والاستبدال:

- إحلال (ما) محل (المفعول به)، وكون (ما) شرطية ألزم صدارتها في الجملة الشرطية على الجملة الفعلية (فعل الشرط) وهي هنا(مفعول به) إشارة إلى المال المستخدم في الربا، والنحاة القدماء تنبهوا إلى أن صورة الفعل الذي يأتي بعد اسم الشرط هو ما يحدد موقعها الإعرابي؛ إذ يقول ابن هشام: "إن وقع بعدها فعل قاصر فهي مبتدأ، نحو : "من يقم أقم معه" ... وإن وقع بعدها فعل متعد فإن كان واقعا عليها فهي مفعول به، نحو "أيا ما تدعوا" ... وإن كان واقعا على ضميرها، نحو: "من رأيته" أو متعلقها نحو: " من رأيت أخاه " فهي مبتدأ أو منصوبة بمحذوف مقدر بعدها يفسره المذكور"(ابن هشام، مغني اللبيب،2010م، ص439)، والفعل هنا (وما آتيتم) متعد وواقع عليها، بمعنى وما أعطيتم قرضا من المال بقصد الربا.
- إحلال الفتحة محل الضمة في الفعل المضارع (ليربو) بتقدير أن الناصبة المضمرة وجوبا.
- إحلال ضمير الرفع المتصل (تاء الفاعل المخاطب) مرتين في فعلي الشرط في الجملتين (آتيتم) محل الاسم الظاهر، وهما إحالتان إلى خارج النص، فالمخاطبون في الجملة الأولى هم من يتعاطون الربا بقصد نمو أموالهم، والمخاطبون في الجملة الثانية هم من يعطون الزكاة بقصد نمو أموالهم، وهذه هي الطريقة الصحيحة لنمو الأموال، كما تم وإحلال (واو الجماعة) في الفعل المضارع (تريد) محل الاسم الظاهر، وهذه الإحالات ربطت الجمل، وأسهمت في الإيجاز ووضحت الخطاب الجماعي الهادف.

الزيادة:

- زيادة لام التعليل تعليلا للفعل(ليربو) وتأكيدا لغرضهم من المال المرابى به وهو الزيادة.
- زيادة (لا) النافية للفعل المضارع (يربو)، بقصد النفي القاطع لثواب فعلهم، فنمو رأس أموالهم من أموال الناس هباء منثورا، فلا يزيد عند الله بل يمحقه ويبطله.

ثم ذكر الله تعالى في سورة النساء أن الربا كان محرماً في شريعة اليهود، فالله تعالى نهاهم عنه؛ إلا أنهم كانوا يتعاطونه،

فكان هذا سبباً باستحقاقهم اللعن والطرد، وحرمانهم من الطيبات والحلال، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا(160)وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(النساء: 160-161).

ثم جاءت الآية في سورة آل عمران قبل التحريم المطلق للربا في سورة البقرة، كما أوردنا سابقا، وفيها النهي عن الربا، قال تعالى :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ/ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ/ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران:130-132) .

يتكون النص السابق من سبع جمل إنشائية هي:(نداء + نهي + أمر +تمني+ أمر+أمر + تمني)، ومن جملتين خبريتين فعليتين صلة موصول (آمنوا+ أعدت للكافرين)، ودلالة هذا التكثيف للجمل الإنشائية المحولة في البنية السطحية هو أهمية القضية المطروحة، وما النهي عنها إلا لخطورتها في تدمير البنية الاقتصادية، وهذا ما لاحظه علماء الاقتصاد المحدثين في وقتنا الراهن، منهم عالم الاقتصاد الفرنسي الشهير (موريس آليه) الحاصل على جائزة (نوبل) في الاقتصاد عام 1988م، ولا زال حيا يرزق، وصل في بحثه الذي نال به الجائزة إلى أنه لا مخرج من أزمة العالم الاقتصادية إلا أن تصل نسبة الفائدة إلى صفر، (الشحود، ص 180) وهذا فيه إعجاز قرآني بليغ، ودليل على إنه نص مرسل للعالمين أجمعين، فهو منهج حياة للماضي والحاضر والمستقبل ولكل زمان ومكان.

وهكذا فإن القواعد التحويلية في أي جملة في الآيات القرآنية الواردة أعلاه تعد تحويلات مقصودة تناسب السياق الذي قيلت فيه، معبرة عن قصد المرسل للمخاطبين بأسلوب جزل ومقنع، وقد أثبت النص القرآني بسياقاته المختلفة أنه دستور يخاطب جميع البشر، وليس مختصا بفئة دون أخرى، فهو النص المعجز لكل زمان ومكان، ولا يختلف في إعجازه أصحاب العلوم المتفردة، يقول الجرجاني: "ومعجزته باقية على وجه الدهر، أتعرف له معنى غير ألا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من أراد العلم، وطلب الوصول إليه، والحجة فيه ظاهرة لمن أرادها، والعلم بها ممكنا لمن التمسه..."(الجرجاني،2007م،ص66)، النص القرآني سيظل المعجزة والبرهان ومن أرد العلم عليه بالقرآن، وهذه الشهادة من أبرز علماء القرن الخامس الهجري الذين تناولوا قضية الإعجاز في كتابه "الرسالة الشافية "، وفي كتابه "دلائل الإعجاز" الذي حرص فيه على إثبات أن القرآن معجز بنظمه، فكانت نظرية النظم الذي اشتهر بها. فما أحوجنا في عصرنا هذا أن نعود إلى النص القرآني لمعالجة كافة اختلالات الحياة، لذلك فجمله وتراكيبه تحتاج لوقفات عديدة من الباحثين بمختلف تخصصاتهم للتنقيب عن كنوز معطياته في شتى جوانب الحياة، وعدم الاكتفاء بما كتب حوله من مؤلفات في جميع العلوم.

الخاتمة

النص القرآني معجز بلفظه ومعانيه التي لا ينضب معينها، فهو بوابة عبور الإنسان إلى عوالمه الروحية والدنيوية وفهمه وتطبيقه هو السبيل إلى النجاة، وما النصوص القرآنية المدروسة في هذا البحث إلا غيض من فيض، فمن أهم النتائج التي توصل إليها ما يأتي:

- أثبتت السياقات المختلفة في النص القرآني التي تم تناولها بأنه خطاب جماعي شامل لكل البشر، والالتزام بما فيه كفيل بحل الأزمات الإنسانية وإسعاد البشرية.
- يقارب مصطلحا البنية العميقة والبنية السطحية ما كان عند النحاة العرب، وهما مصطلحا الأصل والفرع مع اختلاف بسيط في التقديرات.
- القواعد التحويلية عند تشومسكي لم يغفل عنها النحاة القدماء، فنجدها مبثوثة في كتبهم مع اختلاف في الطرح.
- التحويلات الإجبارية والاختيارية تقارب إلى حد بعيد الوجوب والجواز عند نحاتنا العرب.
- القواعد التحويلية هي القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها المختلفة كما لاحظنا أثناء التطبيق، وكما طرحها تشومسكي، بدءا بتطبيق قواعد أركان الجملة مرورا بالبنية العميقة والبنية السطحية وبالتحويلات الإجبارية والاختيارية.
- سياق النص وسياق الجملة يفرض نفسه في اختيار القاعدة التحويلية المناسبة للقضية المطروحة.
- القواعد التحويلية في البنية السطحية تولد دلالات مختلفة.
- تؤثر القواعد التحويلية بالترتيب في بنية الجملة من حيث التركيب والدلالة، حيث تفصل بين الأجزاء المتلازمة فيها، وتكون سببا في حذف بعض مكوناتها، وتتحول من جملة بسيطة إلى جملة مركبة، وهذا ما لاحظناه في أغلب النصوص القرآنية المدروسة.
- إرجاع جميع الجمل والتراكيب إلى قسمي الجملة الاسمية والفعلية يساعد في معرفة البنية العميقة والقواعد التحويلية التي طرأت عليها في البنية السطحية.
- كانت قاعدة التحويل بالزيادة ظاهرة ملفتة في النصوص المدروسة، وهي قاعدة طبيعة في لغتنا العربية فكل زيادة في المبنى هو زيادة في المعنى، والنحاة العرب والبلاغيون لم يغفلوا عن هذه المسألة.
- قاعدة الإحلال بالضمير بدل من الاسم الظاهر في البنية السطحية قاعدة مهمة، لأنها تساعد على الإيجاز، والربط بين الجمل وتوليد دلالات مختلفة.

- قاعدة الترتيب في البنية السطحية تفيد دلالات عديدة حسب السياق، كما رأينا عند تحليل النصوص.
- قاعدة التحويل بإحلال (أسلوب الأمر) كانت أكثر ورودا في البنية السطحية في النصوص المدروسة، وجميعها تتمحور في القضايا المصيرية، وتفيد أهمية (الأمر) من المرسل (الله تعالى) وإلزام التنفيذ من المخاطب، وأسلوب الأمر يتصف بصفة الزمن الحاضر والمستقبل، فجميعها لصالح البشرية ومخالفتها ينتج عنه نتائج سلبية تضر الإنسان والبيئة.
- قاعدة التحويل بالنهي والنفي كان لهما حضور ملحوظ في النصوص المدروسة، ولا تقل أهمية عن قاعدة التحويل بأسلوب الأمر، وقد أفادت دلالات مختلفة بحسب القضايا المطروحة.
- الحذف ظاهرة لغوية في لسانيات الجملة، وفي لسانيات النص، لكنها في لسانيات الجملة تعد من قواعد التحويل و تركز على الحذف في الجملة ودلالته، بينما في لسانيات النص تعد من وسائل الاتساق النصي، فتهتم بالحذف الحاصل في الجمل باتصال اللاحق المحذوف بالسابق المذكور في جملة أخرى، وهو الغالب في الجملة العربية.
- لم يخل أي نص من قاعدة التحويل بالإحلال، وهي من قواعد التحويل المهمة في لسانيات الجملة، ومضمونه هو إحلال الضمير أو الاسم الموصول أو اسم الإشارة محل الاسم الظاهر في الجملة، وإحلال حركة أعرابية فرعية محل حركة إعرابية أصلية.
- الفرق بين الإحلال والإحالة، إن الإحلال متعلق بلسانيات الجملة التي تركز على ما تم إحلاله في الجملة والدلالة منه، والإحالة متعلقة بلسانيات النص، وهي تركز على اتساق الجمل وترابطها من خلال الإحالة إلى سابق أو إلى لاحق.
- النص القرآني منهج حياة في جميع آياته ويحتاج إلى مختلف الدراسات العلمية ومنها الدراسات اللغوية القائمة على المناهج الحديثة.

التوصيات:

- توصي الباحثة بأن يولي الباحثون النصوص القرآنية الدالة على التنمية المستدامة وعلى القضايا الإنسانية المختلفة اهتماما خاصا، فيدرسوها من جميع الجوانب بالاستعانة بمختلف مناهج اللسانيات الحديثة.
- توصي الباحثة أن يولي الباحثون تطورات المنهج التوليدي التحويلي الاهتمام والدراسة والعمل الجاد على تطويعها بما يناسب قواعد لغتنا العربية، فهو منهج يعتمد على الجانب العقلي والتفسيري بغية الوصول إلى تصور منهجي شمولي لجميع اللغات.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (1984م)، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، دار تونس للنشر.

3- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن، المصري، الهاشمي، (1999م)، شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: محمد محيى الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة.

4- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،(1999)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر الرياض

5- ابن منظور، محمد بن مكرم،(1999م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

6- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (د.ت)، كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق.

7- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، (2010م)، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، حققه وعلق عليه: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر للنشر، بيروت

8- ابن يعيش، موفق الدين أبي البقاء يعيش،(2001م)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

9- أبو المكارم، علي، (2007م)، الجملة الاسمية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

10- أبو المكارم، علي، (2007م)، الجملة الفعلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

11- أبو النصر، مدحت، ومحمد، ياسمين مدحت،(2017م)، التنمية المستدامة، مفهومها – أبعادها – مؤشراتها، المجموعة العربية للتدريب والنشر، جامعة حلوان، مصر.

9- أنيس، إبراهيم،(1966م)، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

10-إيلي، ميخائيل أ.بين، (2015م)، الاستدامة المبادئ الأساسية الخمسة، إطار جديد، إصدار مختبر الاستدامة، نيويورك.

11- بلعيد، صالح، (2005م)، في المناهج اللغوية و إعداد الأبحاث، دار هومة، الجزائر.

12-البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود،(1997م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع، مصر.

13-البياتي، سناء، (2022م)، نظرية الصفر الكلي وتطبيقاتها على النحو العربي، رابط watch< https:// m. youtube.com.

14-الجرجاني، عبد القاهر، (2007م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دار الفكر، سوريا.

15-الجرمان، عبد الرحمن عبد الله سرور، (2019م)، مكافحة القرآن الكريم للفساد، دراسة موضوعية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، بحث رقم (BE-18-01) الكويت.
16-الجهاز المركزي للإحصاء، (2017م)، أهداف التنمية المستدامة، إصلاحات جوهرية، العراق.
17- الحمد، رشيد وصباريني، محمد سعيد، (1975م)، البيئة ومشكلاتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
18-الخطابي، محمد، (1991م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت.
19-خليل، إبراهيم،(2007م)، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
20-دنيا، شوقي أحمد، (2007م)، نظرات اقتصادية في القرآن الكريم، سلسلة محاضرات العلماء الفائزين بجائزة البنك الإسلامي للتنمية رقم(20)، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة.
21-الراجحي، عبده، (1979م)، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة، بيروت.
22-الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
23- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (2000م)، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء(32) تحقيق: عبدالكريم العزباوي، راجعه: أحمد مختار عمر، عبداللطيف محمد الخطيب، و(2001م)،الجزء(40)، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، عبداللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
24-زغدود، سهيل، وآخرون، (2019م)، التنمية المستدامة من خلال القرآن والسنة ومبادئ تطبيقها في الاقتصاد الإسلامي، مجلة Issue1 ، V0l 6، الجزائر.
25-الزمخشري جارالله، أبو القاسم محمود بن عمر وبن أحمد، (1407م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت.
26-السامرائي، فاضل صالح، (2000م)، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
27-سمارة، إحسان، (2019م)، دور النظرة الإسلامية للربا في الوقاية من الأزمات الاقتصادية، كلية الشريعة، جامعة جرش، الأردن.
28-السيابي، طالب بن علي بن مصلح، وآخرون، (2017م)، التنمية وأثرها في المجتمعات الإسلامية لتحقيق التنمية المستدامة، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية، المجلد3، العدد4، أكتوبر، ماليزيا.
29-سيبويه، أبو بشر، عمر بن قنبر،(1988م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
30-الشحود، علي بن نايف، المفصل في أحكام الربا، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.(د.ت) .
31-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (1414هـ)، فتح القدير، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
32- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة. بيروت.
34-عبد اللطيف، محمد حماسة، (1990م)، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
35-عبد الله، عبد الخالق، (1998م)، التنمية المستدامة والعلاقة بين البيئة والتنمية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، (13) بيروت.
36-عمايرة، خليل أحمد، (1981م)، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، علم المعرفة، جدة.
37-عيد، محمد، (1992م)، النحو المصفى، المنيرة، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة.
38-الغامدي، عبد الله بن جمعان، (2007م)، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولة عن حماية البيئة، المملكة العربية السعودية.
39-الفتلي، إيثار عبود كاظم (2009) الفساد الإداري والمالي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية في بلدان مختلفة، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء، العراق
40-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (1964م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.
41-محمد، عبد الله حسون، وآخرون، (2015م)، التنمية المستدامة المفهوم والعناصر والأبعاد، مجلة ديالي، العدد(67)، بغداد.
42-المخزومي، مهدي، (1986م)، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت.
43- المراغي، أحمد مصطفى، (2002م)، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان .
44-معلوف، سمير، (1966م)، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
45-المقبلي، عبدالغني علي،(2021م)، التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية (مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية نموذجا) مجلة الجامعة الوطنية، العدد(16)، فبراير، صنعاء .
46-الناصر، عبد الله بن إبراهيم، (2013م)، مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي، (دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم، كلية التربية، قسم الثقافة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود.
47-الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (1994م)، التفسير الوسيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.